الفصل الثاني ٣- ٣- ٢

تغيُّر (الحقائق!) التَّشريحيَّة

ظَنَّ المؤلِّفون العربُ –ومن قبلهم الإغريق– أنَّ الجَليديةَ تقعُ في مركز الكُرة التي هي العين.

فالجزءُ الأماميُّ من الكرة الذي تشغله البيضيَّة يناظر الجزءَ الخلفيَّ منها الذي تشغله الزُّجاجيَّة.

ولا نجد عند هؤلاء ما يشير إلى أنَّهم أدركوا أنَّ الجَليديةَ موجودةٌ في الأمام وأنَّ الجزءَ الأماميَّ من العين أصغر بكثيرٍ من الجزء الخلفيّ منها.

كما أنَّنا لا نجد ما يشير إلى أنَّهم عرفوا أنَّ حجمَ القَرنيَّة أصغرُ من حجم الصُّلبة، فالقارئ يخرج بانطباعٍ مفاده:

– أنَّ القرنيةَ تقابل الصُّلبةَ، وبالتالي فهي تعادلُها في الحجم، وذلك بسبب تمركز الطَّبقات حول المركز الذي هو الجَليديَّة.

– والرُّطوبة البَيضيَّة تعادل في حجمها الرُّطوبةَ الزُّجاجيَّة، وكُلٌّ واحدةٍ منهما تشغل نصف حجم العين.

– والعلم الحديث بيَّنَ أنَّ الجسم البِلَّوريّ موجودٌ في الأمام وليس في وسط الكرة (وسط المُقْلة).

– وهو لا يرتكز ويتثبَّت في حفرةٍ على الوجه الأماميّ للجسم الزُّجاجيّ، بل يتعلَّق بأربطةٍ دائريَّةٍ، تحيط به على خط استوائه وترتكز في المحيط على الجسم الهُدبيّ.

– وهو لا تغطِّيه وتحميه الرُّطوبةُ البَيضيَّة في الأمام، لأنَّه ليس ثمَّةَ رطوبةٌ بيضيَّةٌ.

– والمسافة بينه وبين قطب العين الخلفيّ مسافةٌ كبيرةٌ، بينما لا توجد مسافةٌ محسوسةٌ بينه وبين وجه القَزحيَّة الخلفيّ، كما ظَنَّ الأقدمون.

– وما ظنُّوه طبقةً أماميَّةً تتمادى مع الطَّبقة الشَّبكيَّة في الخلف، وسَمَّوه (الطَّبقة العنكبوتيَّة) ما هو إلَّا ألياف الرِّباط المُعَلِّق للبِلَّورة، وهو يشبه حقًّا (خيوط العنكبوت) كما قالوا.

– والعَصَبُ البصريُّ يمكن أنْ نَعُدَّهُ عصبًا مجوفًا (أجوف)؛ ذلك أنَّ التَّشريح يُبَيِّنُ أنَّ الشِّريانَ العَينيَّ موجودٌ في لمعته، فإذا نظر المشرِّحُ –بالعين المجردة– إلى العصب وجده ذا لمعة، والشِّريان له لمعةٌ فارغةٌ، توحي بأنَّها هي مجرى (الرُّوح الباصر) حيث لا يميِّز المشرِّحُ –بالعين المجردة– بين ألياف العصب وجدار الشِّريان الرَّقيق.

– و(التَّقاطع الصَّليبيُّ) صحيحٌ، نسمِّيه اليوم (التَّصالب البصريُّ)، لكنَّ سيرَ الألياف في الطَّريق البَصَريّ ما كان من الممكن أنْ يُدْرَسَ قبل عصر المِجْهَر.

– والشَّبكيَّة حقًّا (تنبتُ) من ألياف (العَصَب الأجوف)، ذلك أنَّ التَّشريح المجهريَّ بَيَّنَ علاقةَ هذه الألياف بالشَّبكيَّة، لكنَّ الشَّبكيَّة يتوقف امتدادها في الأمام وترتكز على المَشيميَّة في ما نسمِّيه اليوم (الدَّائرة المنشاريَّة).

ولا تتمادى الشَّبكيَّة في الأمام بجزءٍ ما من (الجدار الدَّاخليّ) للمُقْلة، الذي ظَنَّ الأقدمون أنَّه (العنكبوتيَّة).

والتَّفصيلات كثيرةٌ، لا نريد أنْ نذكرَ منها أكثرَ ممَّا ذكرنا لكي لا نخرجَ عن دائرة (وصف الأقدمين لأجزاء العين)، وندخلَ في عملية نقدٍ (لتشريح العين عند العرب).

وفي الحقيقة: إنَّ حجمَ الحقائقِ التي ذكرها القدماء في (تشريح العين) يدعو إلى الإعجاب، إذا أخذنا بعين الاعتبار الوسائل البحثيَّة المتوفرة أيامهم.

ولا نريد أنْ نبحثَ –هنا– في مصدر هذه المعلومات، وكيف حصل العربُ عليها، فهذا موضوعٌ مُهِمٌّ جدًّا لكنَّ مكانَهُ ليس هنا، ذلك أنَّنا في مجال **التَّقديم** للمعلومات التَّشريحيَّة التي ساقها ابن ماسويه في كتابه (معرفة مِحْنة الكَحَّالين).

ونحن إذ نقارن هذه المعلومات التي ساقها ابن ماسويه بالمعلومات المتوافرة في زمانه فما ذلك إلَّا لضرورات **(التَّحقيق)**، وبخاصَّةٍ أنَّ المخطوطات التي وصلت إلى عصرنا من هذا الكتاب لا يمكن الرُّكونُ إليها، بسبب أنَّ النَّاسخَ يمكن أنْ يكونَ قد كَتَبَ كلمةً في مكان كلمةٍ أخرى، ولذلك بَحَثْنا عن هذه **الكلمات**، كما بحَثْنا عن **المعلومات** في مؤلَّفات المعاصرين من الأطبَّاء.